استعارات بها نحيا

جورج لاكون ومارك جونسون

ترجمة أنور وقيع الله وسمية باعشن

1. مفاهيم بها نحيا

المجاز أو الاستعارة عند معظم الناس أداة للخيال الشعري والسحر البياني. إذ أنها مادة مرتبطة باللغة فوق العادية [لغة الأدب مثل][1] أكثر من ارتباطها باللغة العادية [لغة الحياة اليومية]. كما تعتبر الاستعارة سمة

[1] الكلمات داخل الأقواس المربعة [ ] والحواشي السفلية في هذه الترجمة ليست من النص الأصلي بل أضافها المترجمان.

لغوية محضة، مادتها المفردات وليس الفكر أو العمل. لهذا السبب يعتقد معظم الناس أن باستطاعتهم ممارسة حياتهم بصورة جيدة دون حاجة للاستعارة. وعلى عكس ذلك، فقد وجدنا أن الاستعارة منتشرة في حياة الناس اليومية، ليس فقط في لغتهم، وإنما في أفكارهم وفي ممارستهم لأعمالهم. فنظام الإدراك لدينا، والذي نفكر ونعمل بواسطته، ذو طبيعة مجازية في الأساس.

المفاهيم التي تحكم أفكارنا لا يقتصر تأثيرها على الفكر وحده؛ فهي تحكم أيضا أعمالنا اليومية بما في ذلك أدنى تفاصيلها. هذه المفاهيم تشكّل لنا الأمور التي ندركها بحواسنا: كيف نحيا؟ وكيف نحقق الانتماء للآخرين؟ لذا فلنظام الإدراك عندنا دور رئيس في التعريف بحقائق الحياة اليومية. فإذا كان هذا الرأي الذي اقترحناه، بأن جهاز الإدراك عندنا ذو طبيعة مجازية بصفة عامة رأياً مقبولاً، فإن نشاطاتنا اليومية وما يمر بنا من تجارب كلها ذات طبيعة مجازية.

إن جهاز الفهم جهاز لا ندركه على مستوى الشعور. فنحن، ببساطة، نفكر ونتصرف بصورة شبه آلية تقريبا، وفق خطوط معينة في معظم تفاصيل الحياة اليومية. إلا أن كنه هذه الخطوط أمر ليس من السهل

معرفته. وإحدى الوسائل لاكتشاف هذا الأمر هي دراسة اللغة. وبما أن جهاز الإتصال مبني على نفس طريقة جهاز الإدراك الذي نفكر ونعمل بواسطته، تصبح اللغة مصدر دليل هام على ماهية هذا النظام.

لقد وجدنا، وبناء على أدلة لغوية في المقام الأول، أن الشطر الأكبر من جهاز الإدراك عندنا ذو طبيعة مجازية. كما وجدنا طريقة للبدء في التعرّف وبالتفصيل على الاستعارات المحددة التي تبني إدراكنا ونمط تفكيرنا وتشكّل الأسلوب الذي نعمل به.

ولكي نعطي فكرة مبسطة عما نعنيه من أن مفهوما معينا يمكن أن يكون مجازيا، وعن كيفية تشكيل هذا الفهم لنشاطنا اليومي، فلنبدأ بمفهوم الجدل أو النقاش ولننظر الى المفهوم المجازي ARGUMENT IS WAR "الجدل حرب". هذه الاستعارة منتشرة في حياتنا اليومية في شكل تعابير مختلفة:

الجدل حرب.

إدعاءاتك لا يمكن الدفاع عنها.

هاجم كل نقطة ضعيفة في نقاشي.

نقده كان على الهدف تماما.

دحضت حجته.

لم أكسب نقاشا واحدا معه قط.

أنت تعترض؟ حسنا، أطلق النار! [قل ما عندك من آراء تهاجم بها ما قلته لك].

إذا استخدمت تلك الاستراتيجيه، سيمسحك [من الوجود].

لقد دكّ جميع حججي.

من المهم أن نلاحظ أننا لا نتحدث فقط عن الجدل كحرب. ففي حقيقة الأمر، يمكننا أن نكسب أو نخسر جدالا أو نقاشا. كما أننا نعتبر الشخص الذي يجادلنا خصما نهاجمه وندافع عن أنفسنا. نكسب مواقعا ونخسر أخرى. نضع خططا ونستخدم استراتيجيات. وإذا وجدنا ما يتعذر تبريره أو الدفاع عنه تركناه وتبنينا أسلوبا آخر للهجوم. إن كثيرا من الأعمال التي نقوم بها أثناء النقاش مبنية جزئيا على مفهوم الحرب. وبالرغم من عدم وجود معركة فعلية إلا أن هناك معركة كلامية وتعكس مفردات الجدل مثل: هجوم، دفاع، هجوم مضاد... الخ هذا الأمر. بهذا المعنى تكون الاستعارة الجدل حرب مفهوما مجازيا نحيا به في ثقافتنا؛ فهي تبني الأعمال التي نؤديها أثناء النقاش.

حاول أن تتخيل ثقافة لا يعتبر فيها الجدل حربا، حيث لا يوجد نصر ولا هزيمة، حيث لا معنى للهجوم أو الدفاع، المكسب أو الخسارة. تخيل ثقافة يعتبر فيها الجدل رقصة، المشاركون فيها راقصون والأداء المتزن الجميل هو الهدف. في مثل هذه الثقافة، ينظر الناس إلى الجدل بطريقة مختلفة، يمارسونه ويؤدونه بصورة مختلفة، ويتحدثون عنه بطريقة مختلفة. لكننا في الغالب لن نعتبر ما يقومون به جدلا، فبالنسبة لنا هم يفعلون شيئا آخر. وسيبدو غريبا أن نسمي ما يقومون به جدلا. لعل الرأي المحايد لوصف هذا الاختلاف بين ثقافتنا وثقافتهم هو القول بأن لدينا شكلا للخطاب مبنيا على مفهوم الحرب، ولديهم شكل للخطاب مبني على مفهوم الرقص.

هذا مثال لما نعنيه بأن مفهوما مجازيا على شاكلة الجدل حرب يمكن أن يشكّل- على الأقل جزئيا- ما نؤديه وكيفية فهم ما نقوم بأدائه عندما نتجادل. إن جوهر الاستعارة يكمن في الفهم والإحساس بشيء ما من خلال منظورنا لشيء آخر. هذا لا يعني أن الجدل نوع من أنواع الحرب. فالجدل والحرب شيئان مختلفان: خطاب لفظي وصراع مسلح. كما أن العمل الذي نقوم به في

كليهما مختلف. لكن بناء الجدل وفهمه وأداؤه والحديث عنه متعلق جزئيا بالحرب. فالمفهوم مجازي في بنائه، والنشاط مجازي في بنائه، وبالتالي كانت اللغة مجازية في بنائها.

زد على ذلك أن هذه هي الطريقة العادية للتجادل والحديث عن الجدل. فالطريقة السائدة بالنسبة لنا للتحدث عن مهاجمة موقع هي باستخدام الكلمتين: "هاجم الموقع". إن طريقتنا التقليدية للتحدث عن الجدل تقتضي ضمنا مجازا لا نكاد ندركه. فالاستعارة لا تكمن في الكلمات التي نستعملها بل في مفهومنا عن الجدل نفسه. إن لغة الجدل ليست شعرية أو خيالية أو بلاغية بل حرفية. ونحن نتحدث عن الجدل بتلك الطريقة لأنها كيفية فهمنا له وتصرفنا يتأثر بالطريقة التي نفهم بها الأشياء.

إن أهم ما أوردناه حتى الآن هو أن الاستعارة ليست مادة لغوية بحتة، أي مجرد كلمات. على العكس من ذلك، فإننا نقول إن عملية التفكير الإنسانية ذات طبيعة مجازية بدرجة كبيرة. وهذا ما نعنيه بأن جهاز الإدراك الإنساني مجازي في بنائه وتعريفه. فالاستعارة كتعبير لغوي ممكنة فقط لوجود المجاز في جهاز الإدراك عند

الناس. لذا فكلما تحدثنا في هذا الكتاب عن أمثلة للاستعارة مثل الجدل حرب، ينبغي أن يفهم من ذلك أن استعارة تعني المفهوم المجازي.

2. إنتظام المفاهيم المجازية

الجدل عادة يتبع نمطا معينا؛ بمعنى أن هناك أعمالا معينة نقوم بها وأخرى لا نقوم بها أثناء الجدل. ولأننا ننظر للجدل باعتباره معركة فان ذلك يؤثر وبصورة منتظمة على الشكل الذي يأخذه الجدل وعلى الطريقة التي نتحدث بها عما نفعله أثناء الجدل. ولأن المفهوم المجازي منتظم فاللغة التي نستخدمها في الحديث عن جزئية معينة من هذا المفهوم منتظمة أيضا.

وجدنا في استعارة الجدل حرب أن مفردات من لغة الحرب مثل: يهاجم موقع، لا يمكن الدفاع عنه، إستراتيجية، أسلوب جديد للهجوم، ينتصر، يخسر موقع... الخ كلها تشكل طريقة منتظمة في الحديث عن المعركة في الجدل. لذا لم يكن مصادفة أن تعكس هذه التعابير تلك المعاني عندما نتحدث عن الجدل. إن جزءا من المجموعة

التي تشكّل مفهوم المعركة يصف جزئيا مفهوم الجدل، وتبعا لذلك يصف اللغة التي نستخدمها في الجدل. وبما أن التعابير المجازية في لغتنا مرتبطة بالإدراك المجازي بطريقة منتظمة فإن باستطاعتنا أن نستفيد من الاستعارات اللغوية في دراسة ماهية المفاهيم المجازية؛ وفهم الطبيعة المجازية لأنشطتنا.

لكي نأخذ فكرة عن كيفية تمكننا من معرفة الطبيعة المجازية للمفاهيم التي نعمل بواسطتها عن طريق دراسة التعابير المجازية في لغة الحياة اليومية، دعونا نلقي نظرة على المفهوم المجازي المستخدم في اللغة الانجليزية المعاصرة: TIME IS MONEY "الوقت مال".

الوقت مال

إنك تضيّع وقتي.

هذا الجهاز سيوفّر لك ساعات.

ليس عندي وقت أمنحه لك.

كيف تقضي وقتك هذه الايام.

هذا الإطار الفارغ من الهواء كلّفني ساعة.

لقد استثمرت وقتا كثيرا فيها.

ليس لديَ وقت كاف لاوفره لذلك.

وقتك بدأ ينفد.

عليك أن تضع ميزانية لوقتك.

وفّر بعض الوقت للعبة تنس الطاولة.

هل يستحق هذا الأمر وقتك؟

هل تبقَى لديك وقت كثير؟

إنه يعيش معتمدا على وقت معار.

إنك لا تستخدم وقتك بطريقة مربحة.

لقد خسرت وقتا كثيرا عندما مرضت.

شكرا لك على وقتك.

الوقت في ثقافتنا سلعة ثمينة، ومورد محدود نوظّفه لبلوغ أهدافنا. وبسبب الطريقة التي تطور بها مفهوم العمل في الثقافة الغربية الحديثة، حيث يقترن العمل بالزمن الذي يستغرقه، أصبح من المألوف أن تكون طريقة الدفع على القيام بعمل ما بالساعة، أو بالاسبوع أو بالسنة. هذا التعبير المجازي الوقت مال موجود في ثقافتنا في صور متعددة: وحدة المكالمات الهاتفية، المقابل المالي نظير عدد ساعات العمل، قيمة الغرف الفندقية، الميزانيات

المالية السنوية، فوائد الديون ودفع دين المجتمع (عندما يخلّ المرء بقوانينه) بقضاء وقت في السجن. هذه الممارسات جديدة نسبيا في تاريخ البشرية وهي قطعا غير موجودة في جميع الثقافات. لقد نشأت في المجتمعات الصناعية الحديثة وهيكلت أعمالنا الأساسية اليومية بطريقة ثابتة. ولأننا نتصرّف على أساس أن الوقت سلعة ثمينة- مورد محدود أو مال فإننا نفهم الوقت في هذا الإطار. لذا نعتبر الوقت ونتعامل معه كشيء يمكن إنفاقه أو تضييعه، وله ميزانية، ويستثمر بحكمة أو بسفه، ويدّخر أو يبدد.

الوقت مال، الوقت مورد محدود والوقت سلعة ثمينة، كل هذه مفاهيم مجازية، وكلها ذات طبيعة مجازية. وهي كذلك، لأننا نستخدم تجاربنا اليومية المتعلقة بالمال والموارد المحدودة والسلع الثمينة ونضفيها على الوقت. وإضفاء مثل هذه المفاهيم على الوقت ليس سمة إنسانية لازمة وإنما سلوك يرتبط بثقافتنا. فهناك ثقافات أخرى لا يرتبط فيها الوقت بأي من هذه المفاهيم.

إن المفاهيم المجازية: الوقت مال، الوقت مورد محدود والوقت سلعة ثمينة كلها تمثّل منظومة واحدة مبنية على نظام تعدد المستويات. فالمال في مجتمعنا

مورد محدود، والموارد المحدودة سلع ثمينة. هذه المستويات الفرعية تصف العلاقات التضمينية بين الاستعمالات المجازية: الوقت مال يتضمن أن يكون الوقت مورد محدود والذي بدوره يتضمن أن يكون الوقت سلعة ثمينة.

نحن هنا نستخدم أسلوب استعمال أكثر المفاهيم المجازية دقّة مثل الوقت مال لتمثيل المنظومة التي ينتمي إليها كلها. بعض التعابير المدرجة في قائمة الاستعمال المجازي الوقت مال يشير مباشرة الى المال، ومن ذلك مثلا: يقضي، يستثمر، يضع ميزانية، بطريقة مربحة، يكلّف. وبعض التعابير يشير إلى موارد محدودة، ومن ذلك: يستخدم، يستنفد، ينفد، لديّ...كاف من، كما أن بعضها يشير إلى سلع ثمينة، مثال ذلك: عندي، يعطي، يضيّع، شكرا لك على). هذا مثال على الطريقة التي تصف بها التضمينات المجازية نظاما مترابطا من المفاهيم المجازية ونظاما مترابطا من التعابير المجازية المتوافقة مع تلك المفاهيم.

3 . الإنتظام المجازي: إظهار وإخفاء

إن الانتظام الموجود في المجاز يمكّننا من إدراك

جزء من مفهوم معين من خلال مفهوم آخر (مثلا أن نفهم بعض سمات الجدل من خلال مفهوم الحرب). نفس هذا الانتظام في المجاز يتسبب بالضرورة في إخفاء أجزاء أخرى من نفس المفهوم. وذلك لأن المفهوم المجازي يساعد على تركيز انتباهنا على جزئية محددة من المفهوم (مثلا سمات العراك في الجدل). إلا أنه، وفي ذات الوقت، يحول دون تركيزنا على تلك الأجزاء التي لا تنسجم مع ذلك الاستعمال المجازي (اي صلة العراك بالجدل). ففي أثناء نقاش حاد- على سبيل المثال- عندما نركّز على الدفاع عن وجهة نظرنا ونهاجم وجهة النظر المضادة فإننا قد نفقد القدرة على إدراك جزئية التعاون في النقاش. إن بإمكاننا أن ننظر الى أي شخص يتناقش معنا باعتبار: (١) أنه شخص يعطينا من وقته- والوقت سلعة ثمينة. (٢) أنه شخص يحاول أن يصل معنا إلى تفاهم مشترك حول قضية معينة. ولكن عندما نكون مشغولين بجزئية المعركة في النقاش فغالبا ما نفقد القدرة على إدراك جزئية التعاون.

مايكل ريدي أطلق اسم"Conduit metaphor"
"استعارة القناة" على أحد أنواع الاستعارات. وهو مثال دقيق لما يحدث عندما يتسبب مفهوم معين في إخفاء بعض

الأجزاء. لقد لاحظ ريدي أن التعابير التي نستخدمها للتحدث عن اللغة مبنية إلى حد ما على الاستعارات المركبة التالية:

الأفكار [هي] أشياء.

التعابير اللغوية [هي] أوعية.

الإتصال [هو] إرسال.

وفي هذه الحالة، يضع المتحدث الأفكار (الأشياء) في شكل كلمات (أوعية) ويرسلها (خلال قناة) للمستمع الذي يقوم بدوره باستخراج الأفكار/الأشياء من الكلمات/الأوعية. ولإثبات فكرته هذه يستعرض ريدي أكثر من مائة نوع من التعابير في اللغة الانجليزية والتي تصل حسب تقديره الى 70٪ على الأقل من التعابير المستخدمة في الحديث عن اللغة. وفيما يلي بعض هذه الأمثلة:

استعارة "القناة"

من الصعب أن أنقل تلك الفكرة له.

لقد أعطيتك تلك الفكرة.

لقد بلغتنا الأسباب التي ذكرتها.

من الصعب أن أضع أفكاري في كلمات.

عندما تكون لديك فكرة، حاول أن تضعها في كلمات.

حاول أن تضع أفكارا أكثر في كلمات أقل.

لا يمكن أن تحشو الجملة أفكارا بأي طريقة قديمة.

المعنى موجود في الكلمات.

لا تقحم المعاني قسرا في الكلمات الخطأ.

إن كلماته تحمل معنى قليلا.

في المقدمه الكثير من المحتوى الفكري.

تبدو كلماتك خاوية.

الجملة بلا معنى.

الفكره مدفونة في فقرات متشابكة جدا.

في مثل هذه الأمثلة، يكون معرفة ما تخفيه الاستعارة أو حتى معرفة وجود الاستعارة أكثر صعوبة. هذه هي الطريقة العادية في التفكير عن اللغة لدرجة أنه يصعب أحيانا أن نتخيل أنها قد لا تلائم الواقع. ولكن إذا نظرنا إلى ما تنطوي عليه "استعارة القناة" فقد نقف على بعض الوسائل التي تخفي عن طريقها بعض الأسس الخاصة بعملية الإتصال.

أولا، إن "استعارة القناة" تقوم على أساس أن التعابير اللغوية أوعية للمعنى. وهذا يتضمن أن يكون للجمل وللكلمات معان في ذاتها مستقلة عن سياق الحديث أو المتحدث. فمثلا الجزء المكون لاستعارة "القناة" الذي يقول بأن المعاني أشياء يتضمن أن يكون للمعاني وجود مستقل عن المتحدث وعن السياق. كما أن الجزء الذي يقول بأن التعابير اللغوية أوعية للمعاني يتضمن أن تكون للكلمات (وللجمل) معان مستقلة عن السياق والمتحدث أيضا. مثل هذه الاستعارات مقبولة تماما في حالات كثيرة. مثال ذلك الحالات التي لا يكون لاختلاف السياق فيها تأثير على فهم الجملة، وذلك عندما يتمكن كل المشاركين من فهم الجمل المستخدمة في حديث ما بنفس الطريقة. ويمكن أن نضرب مثالا على ما سبق بالجملة التالية:

المعنى موجود في الكلمات،

والتي، طبقا لاستعارة "القناة"، يمكن أن تستخدم بطريقة صحيحة في أي جملة بغض النظر عن المتحدث أو السياق. لكن هناك حالات أخرى كثيرة يكون فيها لماهية السياق أهمية في فهم الجملة. وفيما يلي جملة مشهورة من هذا النوع استعملتها باميلا داونج أثناء محادثة فعلية مسجّلة:

إجلس على مقعد عصير التفاح، من فضلك.

في معزل عن السياق، ليس لهذه الجملة معنى على الاطلاق. فالتعبير اللغوي "مقعد عصير التفاح" ليس طريقة عادية في الإشارة الى أي نوع من الأشياء. ولكن للجملة معنى مقبول تماما في السياق الذي استخدمت فيه. هذا السياق هو: نزل شخص مستضاف من الليلة السابقة من الطابق العلوي لتناول طعام الإفطار. كان هناك أربعة مقاعد معدة للجلوس. أمام ثلاثة منها عصير برتقال وأمام الرابع كأس من عصير التفاح. ذاك الصباح، كان التعبير اللغوي "مقعد عصير التفاح" واضحا ومفهوما. وحتى صباح اليوم التالي عندما لم يكن هناك كأس عصير تفاح أمام المقعد كان التعبير اللغوي "مقعد عصير التفاح" واضحا أيضا.

بالإضافة الى الجمل التي ليس لها معنى بمعزل عن السياق، هناك حالات يتعدد فيها معنى الجملة الواحدة باختلاف الأشخاص. مثال ذلك:

نحتاج إلى مصادر جديدة بديلة للطاقة.

إن معنى هذه الجملة بالنسبة لرئيس شركة موبيل

للزيت مختلف تماما عن معناها بالنسبة إلى رئيس جمعية أصدقاء الأرض. المعنى في مثل هذه الحالة ليس موجودا في الجملة- المعنى مرتبط بدرجة كبيرة بالشخص الذي يقولها أو يسمعها كما يرتبط بمركزه الاجتماعي والسياسي. إن استعارة "القناة" لا تلائم الحالات التي يكون فيها السياق مطلوبا لتحديد وجود معنى الجملة من عدمه ولتحديد ماهية هذا المعنى إن وجد.

هذه الأمثلة تدل على أن المفاهيم المجازية التي بحثناها تعطينا فهما غير متكامل عن مسألة الإتصال والجدل والوقت، وبهذا فهي تخفي جزئيات أخرى من هذه المسائل. من المهم أن نلاحظ أن عملية البناء المجازي في هذه الحالة جزئية لا كلّية. إذ لو كانت تشمل الكل لأمكننا أن نعتبر أن أي مفهوم معين سينطبق تماما على المفهوم الآخر. بينما العلاقة التي تربط بين المفهومين، في الواقع، هي أننا ننظر إلى واحد منهما من خلال منظورنا للآخر. وعلى سبيل المثال فالوقت، في حقيقة الأمر، ليس مالا. إذ أنك لو قضيت وقتك في محاولة لإنجاز أمر ما وفشلت في ذلك لا يمكنك استرداد ذلك الوقت. كما أنه لا توجد بنوك للوقت. ويمكن على سبيل المثال أن أعطيك من وقتي

الكثير ولكنك لن تستطيع أن ترد لي نفس الوقت وإنما تستطيع أن تمنحني في المقابل نفس المدة الزمنية التي منحتها لك. وهكذا نرى أن بعض جوانب الاستعارة لا ينطبق تماما ولا يمكن أن ينطبق تماما.

من جهة أخرى، فإن الاستعارة يمكن أن تغطي مساحة أكبر من تلك التي يشملها الأسلوب الحرفي للتفكير والخطاب. وبهذا تدخل الاستعارة في حيز ما يسمى باللغة المجازية أو الشاعرية أو الخيالية. وعليه فإن كانت الأفكار عبارة عن أشياء فيمكننا أن نقول عنها من باب الاستعارة في اللغة الانجليزية مثلا إننا نلبس أفكارنا ثيابا مزخرفة، إننا نتلاعب بالأفكار، إننا نرتب أفكارنا ترتيبا منظما... الخ. لذا فعندما نقول عن مفهوم معين إنه مبني على استعارة معينة فإننا نعني بذلك أنه بناء جزئي وأن بالامكان توسيع مجال استخدامه بأساليب معينة.

4. استعارة الإتجاه والمكان

لقد تطرقنا في بحثنا حتى الآن إلى ما سنطلق عليه اسم "Structural metaphors" "الاستعارات البنائية"-

وهي حالات يتم فيها تشكيل مفهوم معين على أسس مجازية من خلال نظرتنا إلى مفهوم آخر. إلا أن هناك نوعا آخر من المفاهيم المجازية يختلف عن هذا الذي رأيناه آنفا. ففي هذا النمط المجازي الذي نحن بصدده يتم إعادة تشكيل منظومة كاملة من المفاهيم وليس مفهوما واحدا معينا. سوف نطلق على هذا النوع من المفاهيم المجازية اسم "Orientational metaphors" "استعارة الإتجاه والمكان " حيث إن لمعظمها علاقة بالاتجاهات والمواقع المكانية: أعلى-أسفل، داخل-خارج، أمام-خلف، موجود-غير موجود، عميق-ضحل، مركزي-طرفي. هذه الإشارات المكانية جاءت بهذا الشكل لأننا كبشر نملك أجسادا ذات هيئة معينة ونتحرك بطريقة معينة في البيئة التي نعيش فيها. واستعارة الإتجاه والمكان تصبغ على كل موضوع إتجاها وموقعا معينا. فعلى سبيل المثال نجد أن السعادة مرتبطة بمفهوم العلو. وحقيقة أن السعادة مرتبطة بالعلو أدت إلى وجود تعابير إنجليزية على شاكلة: "أحس بأن معنوياتي عالية اليوم".

هذا النوع من الاستعارات المرتبطة بالإتجاه والمكان لم يأت بصورة إعتباطية وإنما له أسس نشأت من

طبيعة تجاربنا الجسدية والفيزيائية والثقافية. ومع أن المتضادات مثل أعلى-أسفل، داخل-خارج... الخ، لها أسس فيزيائية إلا أنها تختلف من ثقافة الى أخرى. ففي بعض الثقافات، على سبيل المثال، نجد أن المستقبل أمامنا وفي بعضها الآخر خلفنا. وفيما يلي نحاول أن نلقي بعض الضوء على استعارة الموقع المكاني الخاصة بمفهومي أعلى وأسفل. وقد تمت دراسة هذا النوع من الاستعارة بواسطة ويليام نيجي (1974). وفي كل مرة نحاول أن نعطي إشارات مبسطة عن الدور الذي تلعبه تجاربنا الجسدية/الفيزيائية والثقافية في تشكيل المفهوم الاستعاري. هذه الإشارات نوردها من باب الإقتراحات فقط ولا تعتبر تفسيرا نهائيا للموضوع.

السعادة ترتبط بمفهوم العلو والحزن بمفهوم الانخفاض:

أشعر بأن معنوياتى عالية.

رفع ذلك معنوياتى.

إرتفعت معنوياتى.

معنوياتك عالية.

التفكير فيها يرفع معنوياتى دائما.

أحس بأني في الحضيض [محبط].

إنني تحت ضغط نفسى [مكتئب].

إن معنوياته فى الحضيض هذه الأيام.

وقعت تحت ضغط نفسي.

إنخفضت معنوياتي.

الأسس الجسدية:

إن الحزن والإكتئاب يتلاءم مع وقوف الإنسان مطأطىء الرأس كما أن الوقوف باعتدال وبرأس مرفوعة يتلاءم مع الإحساس بمشاعر إيجابية.

حالة الوعي ترتبط بمفهوم العلو كما أن حالة اللاوعي ترتبط بمفهوم الانخفاض:

قم.

إنهض من النوم.

لقد نهضت.

إنه ينهض مبكرا فى الصباح.

راح في سبات عميق.

غلبه النعاس فنام.

إنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي.

لقد راح في غيبوبة.

الأسس الجسدية:

كل البشر ومعظم الثديات ينامون مضجعين ويقفون على أقدامهم عندما يستيقظون.

فكرة الصحة والحياة ترتبط بمفهوم العلو كما ترتبط فكرة المرض والموت بمفهوم الانخفاض:

إنه فى قمة الصحة.

نهض لازرس من موته.

إنه في أرقى حالاته.

أما فيما يتعلق بصحته، فإنه يتمتع بأعلى درجات الصحة.

سقط مريضا.

إن حالته تتدهور بسرعة.

لقد سقط مريضا بالإنفلونزا.

إن صحته تتدهور .

لقد سقط ميتا.

الأسس الجسدية:

إن المرض الحاد يضطرنا إلى الاضجاع كما أن المرء عندما يموت يكون وضع الجسم الطبيعي فى حالة رقاد .

إحكام السيطرة والإحساس بالقوة يرتبط بمفهوم العلو كما أن الخضوع للسيطرة أو الاستسلام لقوة ما يرتبط بمفهوم الانخفاض:

لديّ سيطرة عليها.

أنا أحكم السيطرة على الموقف.

وظيفته عالية.

إنه في أعلى درجات السلطة.

إنه في القيادة العليا.

إنه في الدرجات العليا.

زادت سلطته.

من ناحية القوة فإن ترتيبه أعلى مني.

إنه تحت سيطرتي.

لقد تلاشت سلطته.

إن سلطته تتناقص.

إن مكانته الاجتماعية أدنى من مكانتي.

إنه يحتل الموقع الأدنى في عمود الطوطم.[1]

الأسس الجسدية:

هناك علاقة بين حجم الجسم والقوة الجسدية كما أن المنتصر في القتال يكون دائما في الموقع الأعلى.

الكثرة ترتبط بمفهوم العلو كما أن القلة ترتبط بمفهوم الانخفاض:

إن عدد الكتب التى تتم طباعتها كل عام يرتفع دائما.

إن رقمه عال.

إرتفع دخلي العام الماضي.

---

(١) عمود مكون من أشكال منحوتة بعضها فوق بعض كان شائعاً عند بعض قبائل الهنود الحمر.

إن حجم النشاط الفني فى هذه الولاية قد تدنى خلال العام المنصرم.

عدد الأخطاء التي ارتكبها متدن إلى حد لا يصدق.

لقد تدنى دخله العام الماضي.

إنه دون السن القانونية.

إن كنت تشعر أن الجو حار فيمكنك أن تحرك مفتاح التحكم في الحرارة إلى أسفل.

الأسس الجسدية:

كلما زدت كمية من مادة معينة أو أشياء مجسمة إلى وعاء أو كوم تلاحظ أن الإرتفاع يزيد.

الأحداث المتوقعة في المستقبل القريب ترتبط بمفهوم العلو (ومفهوم كلمة أمام):

أوردت الصحيفة كل الأحداث المقبلة.

ما هي الأحداث المنتظرة هذا الاسبوع؟

إني أخاف مما تخبئه الأيام أمامنا.

ماذا يحدث [أمامنا]؟

الأسس الجسدية/الفيزيائية:

إن عيوننا تنظر عادة في الإتجاه الذي نتحرك نحوه. وكلما أصبح الشخص قريبا من جسم معين يبدو ذلك الجسم أكبر حجما. ولأن سطح الأرض يبدو ثابتا فإن الجزء العلوي من ذلك الجسم لنا وكأنه يرتفع إلى أعلىحتى يوازي مستوى النظر .

المستوى الاجتماعي الراقي يرتبط بمفهوم العلو كما أن المستوى الهابط يرتبط بمفهوم التدني:

له مركز عال.

ستصعد إلى القمة.

إنه في قمة تدرجه الوظيفي.

إنه يرتقي السلم الوظيفي.

لديه القليل من القدرة على التحرك إلى أعلى [ليس لديه القدرة على تحسين وضعه الاجتماعي /الوظيفي].

إنه في أسفل السلم الاجتماعي.

لقد تدنى وضعها الاجتماعي.

الأسس الجسدية والاجتماعية:

المكانة الاجتماعية تتلاءم مع مفهوم العلو المرتبط بالقوة الاجتماعية والقوة الجسدية.

الأشياء الحسنة ترتبط بمفهوم العلو كما أن الأشياء السيئة ترتبط بمفهوم التدني:

إن الأمور تسير إلى أعلى [تتحسن].

لقد بلغنا القمة العام الماضي ولكن منذ ذلك الوقت أخذت الأمور في التدهور.

الأمور فى أدنى معدلاتها.

إنه يعمل بكفاءة عالية.

انه يقدم عملا ذا مستوى عال من الجودة.

الأسس الجسدية لشعور الشخص بأن كل شيء على ما يرام:

السعادة، الصحة، الحياة، السيطرة على زمام الأمور - وكل الأشياء التى تشير إلى أن شخصا ما يحيا حياة طيبة ترتبط بمفهوم العلو.

القضايا المرتبطة بالعقل والفضيلة ترتبط بمفهوم العلو كما أن الرذيلة ترتبط بمفهوم التدني:

له عقل راجح.

مستواها راق.

أخلاقها عالية.

إنها مواطنة عالية الهمة.

كانت خدعة دنيئة.

تحاشى أن يكون عدد العمال أقل من العدد المطلوب.

لن أنحني من أجل هذا.

سيكون هذا أمرا متدنيا مقارنة بمكانتي.

لقد سقط في هاوية الرذيلة.

كان هذا عملا منحطا.

الأسس الجسدية والإجتماعية:

إن القضايا التي تسير سيرا حسنا تتفق مع فكرة العلو بالنسبة للإنسان. وهي مسألة تنطبق أيضا على

المجتمع بناءا على الاستعارة القائلة بأن "المجتمع شخص" أي أننا يمكن أن نصبغ على المجتمع سمات إنسانية (كما سنناقش لاحقا). لذلك إن كان تصرف ما يتصف بالشرف، فهذا يعني أنه تصرف مبني على القواعد التي خطها المجتمع من أجل المحافظة على سلامته. ومسألة الشرف تتفق مع مفهوم العلو لأن التصرفات المشرّفة تنسجم بدورها مع تحقيق الحياة الطيبة للمجتمع وذلك بناءا على ما ارتضاه المجتمع/الناس. وبما أن الاستعارة المبنية على أسس إجتماعية هي جزء من ثقافة المجتمع كانت نظرة المجتمع/الناس للأمور هي النظرة المهمة.

العقل يرتبط بمفهوم العلو كما أن العاطفة ترتبط بمفهوم التدني:

لقد انحدر النقاش إلى مستوى العاطفة إلا أنني ارتقيت به مرة أخرى إلى مستوى العقل.

لقد وضعنا عواطفنا جانبا وناقشنا المسألة نقاشا عقليا [على مستوى عال].

لم يتمكن من السمو فوق مستوى عواطفه.

الأسس الجسدية والثقافية:

يرى الناس في ثقافتنا أنهم يسيطرون على الحيوانات والنباتات وعلى البيئة الطبيعية وكل ذلك بفضل قدرتهم العقلية المتفردة. هذه القدرة أتاحت للإنسان موقعا أعلى من موقع الحيوان وأعطته السيطرة عليه. بما أن فكرة السيطرة ترتبط بفكرة العلو فمن هنا جاءت فكرة أن الإنسان أعلى مرتبة، وبالتالى صح أن نقول إن العقل يرتبط بالعلو.

النتائج

بناء على ما سبق فإننا نقترح النتائج التالية وهي الخاصة باعتماد الممارسة والتجربة الإنسانية كأساس للترابط وانتظام المفاهيم المجازية:

- معظم مفاهيمنا الأساسية تتعلق بواحدة أو أكثر من الاستعارات المبنية على فكرة المكان (أي الاستعارة المكانية).
- هناك تنظيم داخلي لكل استعارة مكانية. فعلى سبيل

المثال فإن الاستعارة القائمة على فكرة أن السعادة ترتبط بمفهوم العلو تشكّل منظومة مترابطة وليس مجرد أمثلة منفصلة. وعدم الترابط ينشأ فقط إن كانت هناك تعابير مثل "أحس بأن معنوياتي عالية" = "أني سعيد" بينما نجد في ذات الوقت تعبيرا آخر مثل "إرتفعت معنوياتي" = "أني حزين".

- هناك أيضا نظام خارجي يربط الاستعارات المكانية المختلفة. لذلك نرى أن الاستعارة المبنية على فكرة أن الأشياء الحسنة ترتبط بفكرة العلو تضفي صفة العلو على كل موقف حسن أو جيد. وينطبق هذا على حالات مماثلة مثل: الصحة، الحياة، السيطرة على الأمور، الوضع الاجتماعي.

- إن الاستعارة المكانية لا تبنى على العشوائية وإنما تقوم على أسس جسدية وثقافية نابعة من تجاربنا. وتساعد الاستعارة على توضيح بعض المفاهيم عن طريق الاستعانة بتجاربنا السابقة. (سنناقش في الفقرة التالية بعض التعقيدات الناجمة من جراء إرتباط الاستعارة بالتجارب السابقة).

- هناك العديد من الأسس الجسدية والاجتماعية

للاستعارة. والترابط في داخل المنظومة هو جزء من الأسباب الداعية إلى تغليب اختيار أحد هذه الأسس على الآخر لتبنى عليه الاستعارة. فمثلا السعادة لها علاقة جسدية/طبيعية بالابتسام والإحساس العام بحب الخير والتفاؤل. وهذا يمكن أن يشكّل أساسا لاستعارة تبنى على فكرة أن السعادة لها علاقة بمفهوم الاتساع، كما أن الحزن له علاقة بمفهوم الضيق. وفي الحقيقة فإن هناك تعابير محدودة مبنية على فكرة أن السعادة متصلة بمفهوم الاتساع. إلا أن هذه الاستعارة تختلف في مدلولها عن الاستعارة المبنية على فكرة الصلة بين السعادة ومفهوم العلو. والاستعارة المستخدمة أكثر في الثقافة الإنجليزية هي المعتمدة على وجود صلة بين السعادة ومفهوم العلو. وهذا هو السبب في أننا نتحدث عن قمة النشوة ولا نتحدث عن اتساع النشوة. فارتباط السعادة بمفهوم العلو يتفق مع إرتباط الأشياء الحسنة بمفهوم العلو وبارتباط الصحة بمفهوم العلو... الخ.

- هناك حالات يكون فيها لفكرة المكان إرتباط وثيق بمفهوم معين يصعب معه استحداث استعارة بديلة تعكس لنا هذا المفهوم. ومثال ذلك في مجتمعنا هو

"وضع اجتماعي راق" بينما نجد أن الحالات المبنية على ربط السعادة بالعلو أقل وضوحا. والسؤال هو: هل مفهوم السعادة مفهوم مستقل عن الاستعارة التي تربط السعادة بالعلو أم أن هناك ارتباطا بين مفهوم السعادة وفكرة المكان (عاليا كان أم منخفضا)؟ إننا نعتقد أن فكرة السعادة جزء من هذا المفهوم المكاني، والاثنين معا (أي السعادة والمفهوم المكاني) جزء من منظومة مجازية مترابطة ومن خلال وجودها داخل هذه المنظومة تكتسب الاستعارة التي تربط السعادة بالعلو جزءا من معناها.

- في معظم الأحيان - إن لم يكن في كل الأحيان - نجد أن ما يسمى بالمفاهيم العقلية الصرفة مثل تلك الموجودة في نظريات العلوم البحتة مبنية في الأساس على استعارات لها جذورها في دنيا الطبيعة و/أو الثقافة. ومن ذلك كلمة "عال" في "الذرات ذات الطاقة العالية" فالاستعمال قائم على الاستعارة المبنية على فكرة أن الكثرة مرتبطة بمفهوم العلو. كما أن إستعمال كلمة "عال" في "الوظائف ذات المستوى العالي" كما هي مستخدمة في علم النفس الفسيولوجي مبني على استعارة

مفادها أن العقل مرتبط بمفهوم العلو. كذلك كلمة "أدنى" في "المستوى الأدنى في الصوتيات" (والتعبير يستخدم في الإشارة للنظام الصوتي للغات). هذا الاستعمال مبني على استعارة مفادها أن الحقائق الدنيا التي تشكّل الأساس هي في الأسفل (أي في موقع الأساس أو قواعد البناء). وكلما اتفقت الاستعارة المستخدمة في مجال العلوم البحتة مع واقع تجاربنا كلما راقت لنا فكرتها.

- إن تجاربنا الثقافية وتجاربنا في دنيا الطبيعة ترشدنا إلى الأسس التي يمكن أن تبنى عليها الاستعارة المكانية. إن اختيار استعارة معينة وتصنيف الاستعارات إلى استعارات أساسية أو غيرذلك يختلف من ثقافة إلى أخرى.

- من الصعب الفصل بين الأسس الثقافية والأسس الفيزيائية للاستعارة وذلك لأن اختيار أساس فيزيائي/طبيعي تقوم عليه الاستعارة من ضمن عدة خيارات فيزيائية/طبيعية أخرى يعتمد بدوره على روابط ثقافية.

* * *